

أسس النهضة واتجاهاتها في الفكر الإسلامي

محور (قيم الحضارة)

د صالح بن عبد العزيز التويجري^(*)

قال الله تعالى: (صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَتَخُنْ لَهُ عَابِدُونَ (١٣٨) قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَتَخُنْ لَهُ مُخْلِصُونَ (١٣٩) أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٠) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤١)) سورة البقرة، وفي ظل خصوصية الشريعة وخصوصية الفرد وخصوصيات المجتمعات تتحاذيك أطراف وكلها يدعي الوسطية والاعتدال في وقت تسمى قوى أخرى لتدوين أي خصوصية ومماهي الحقوق حلما لا يمكن تطبيقه كما هي النظريات الفلسفية المثالية التي تدعي إمكانية المثل ثم حدثت قوانين ومعاهدات تدور في فلك المصطلح وتحدث إلى تعزيز مفهوم التصالح على مبادئ لا يصح القبول ولا الرفض حتى يتم عرضها على مسلمة الشريعة لئلا نقر محرما أو نمنع مباحا.

الشريعة الإسلامية لها خصوصية في الاستعمالات اللغوية للألفاظ ولها خصوصية في المفاهيم والتصورات وخصوصية في مصطلحات اجتماعية، ولا تكاد تجد مفهوما من المفاهيم التي تعارف عليها الناس إلا وللشريعة الإسلامية خصوصية فيه.

يقول د. محمد عمارة في معرض بيانه للخصوصية الحضارية للمصطلحات: «إذا نظرنا إلى أي مصطلح من المصطلحات باعتباره (وعاء) يوضع فيه (مضمون)

(*) المملكة العربية السعودية: جامعة القصيم - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.

من المضامين وباعتباره (أداة) تحمل (رسالة) المعنى؛ فسنجد صلاح وصلاحيه الكثير من المصطلحات لأداء دور (الأوعية) و(الأدوات) على امتداد الحضارات المختلفة».

أما إذا نظرنا إلى المصطلحات من زاوية (المضامين) التي توضع في أوعيتها، ومن حيث الرسائل الفكرية التي حملتها (الأدوات: المصطلحات) - فسنكون بحاجة ماسة وشديدة إلى ضبط عبارة: (لا مُشاحّة في الاصطلاح)؛ لأننا سوف نجد أنفسنا أمام (أوعية) عامة وأدوات مشتركة بين الحضارات والأنساق الفكرية، وفي الوقت ذاته أمام (مضامين) خاصة ورسائل متميزة، تختلف فيها وتتميز بها هذه الأوعية العامة والأدوات المشتركة لدى أهل كل حضارة من الحضارات المتميزة. د. محمد عمارة: معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٦م، ص (٤).

لذا تتبع أهمية خصوصية وشيوع المصطلحات عموماً من كونها الوعاء الذي تطرح من خلاله الأفكار؛ فإذا ما اضطرب ضبط هذا الوعاء أو اختلت دلالاته التعبيرية أو تميّعت معطياته اختلّ البناء الفكري ذاته واهتزّت قيمه في الأذهان، والمشكلة تنشأ عندما يتم نقل المفاهيم من مجتمع إلى آخر، يختلفان ثقافة ولغة ونمط حياة ومستوى حضارة؛ ذلك أن إعادة استنبات المفاهيم في بيئة حضارية مغايرة لا تؤدي الثمار نفسها التي آتتها في بيئتها الأولى، وهو ما أطلق عليه المفكر الإيراني الشهير (علي شريعتي) (جغرافيا الكلام) أي أن كلاماً معيناً قد يكون صحيحاً في بيئة ما، فإذا تم نقله إلى بيئة أخرى لم يكن بدرجة الصحة التي كان عليها في بيئته الأولى. ومعظم المخاطر تحدث عندما ندعى إلى مؤتمرات ومحافل دولية يصوغها الأقوياء ويمضي عليها المغلوبون على أمرهم في زمن الاستضعاف وهي أغلال تغلّ بها الأجيال القادمة سواء في الدين أو الاقتصاد أو الاجتماع والأسرة وعلى سبيل المثال التي يتجلى به الخطر ولعل مصطلح الجندر (قطب الرّحى) وتدور حوله معظم مصطلحات الأمم المتحدة،

ومصطلح التمكين: من المصطلحات ذائعة الصيت في جميع وثائق مؤتمرات الأمم المتحدة وبقدر ذيوعه بقدر غموضه أما مصطلح (حرية الحياة غير النمطية الذي ظهر لأول مرة في مؤتمر بكين فإنه دعا إعلان المؤتمر في نص المادة رقم (٢٦٦) من الوثيقة إلى حرية الحياة غير النمطية كحق من حقوق الإنسان).

كما ورد في اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (السيدوا) العديد من المصطلحات التي تحمل من الدلالات ما يستحق الوقوف عنده وكشف غامضه أو إن شئنا الدقة: فك شفرته. يمثل مصطلح (التمييز) قطب الرّحى الذي تدور عليه الاتفاقية؛ ذلك أن التمييز صُكَّ كمصطلح قانوني على تداعياته وآثاره الاجتماعية.

هذا ملخص الفكرة التي يدور حولها البحث، ومحاوره كما يلي:

تمهيد: حدود البحث وأهميته .

المباحث أربعة:

الأول: تحرير معنى الخصوصية والعالمية.

الثاني: مشتركات بين الحضارات.

الثالث: لماذا تذويب الخصوصيات وأساليبه.

الرابع: كيف نحافظ على الخصوصية ونتعايش مع المحيط.